جهود الدولة العربية الإسلامية في الزراعة في العصر الأموي 41-132هـ/ 661-750م

م.د.احمد محمد حمد المشهداني

Am373809@gmail.com

المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الثالثة / الاشراف التربوي

الملخص:

يتناول البحث جهود الدولة العربية الإسلامية في تطوير الزراعة في العصر الأموي، واهمية النشاط الزراعي ودوره الكبير في دعم واردات بيت المال وبالتالي تنشيط مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، وجهود الدولة بمختلف اوجه النشاط الزراعي من تضاريس ومناخ والجانب البشري، وتأتي اهمية البحث في تسليط الضوء على جهود الدولة الأموية في تطوير النشاط الزراعي لكونه ثروة داعمة لواردات الدولة، ومن اهداف البحث التعرف على جهود الخلفاء والولاة في تطوير الزراعة، وبيان اهمية الزراعة، ومعرفة الطرق التي تم من خلالها استصلاح الأراضي وتحويل الاهوار إلى أراضي زراعية واحياء الأراضي الموات وكيفية توفير مياه السقي، ولطبيعة البحث انتهج فيه منهج البحث التاريخي، وقد جعلت حدود البحث عصر الدولة الأموية (41-132هـ/ 661-750م)، وقد خرج البحث بعدة نتائج اهمها يمثل النشاط الزراعي رافدا مهما لاقتصاد الدولة،واعطاء الأراضي لمن يجعلها منتجة وسحبها من الذي يهملها، ولا مانع في الملكية الخاصة للأراضي الزراعية اذا ما ساهم ذلك في تطوير الزراعة، وضرورة توفير مياه السقي بشتى الوسائل واعادة العراق إلى واقعه الزراعي الرائد بالاستفادة من تجارب من سبقنا.

الكلمات المفتاحية:الزراعة، العصر الأموي، التضاريس، الري، المناخ.

The Efforts of the Arab Islamic State in Agriculture in the Umayyad Era 41-132 H/661- 750AD

M.Dr.Ahmed Muhammad Hamad Al-Mashhadani

Am373809@gmail.com

General Directorate of Education, Baghdad Al- K ar kh lll /Educational Supervision

Abstract :

The research deals with the efforts of the Arab Islamic state in developing agriculture in the Umayyad era, the importance of agriculture al activity and its major role in supporting the revenues of the treasury and thus activating various aspects of economic, political and social life, and the states efforts in various aspects of agriculture al activity from topography ,climate and the human aspect. The importance of the research comes in highlighting the efforts of the Umayyad state in developing agricultural activity as it is a source of support for the states imports . One of the objectives of the research is to identify the efforts of the caliphs and government in developing agriculture , and to explain the importance of agriculture and to know the methods through which lands were reclaimed, the mashes were transformed into agricultural lands, the revival of dead lands, and how to provide irrigation water. Due to the nature of the research , the historical research approach was followed, and the limits of the research were the era of the Umayyad state(42-132 H/ 661- 750 AD). The research came out with several results, the most important of which is that agricultural activity represents an important tributary to the state economy, giving land to those who make it productive and withdrawing it from those who neglect it, and there is no objection to private owner ship of agricultural lands. This, if it contributes to the development of agriculture and the necessity of providing irrigation water by various means and returning Iraq to its pioneering agricultural realty by benefiting from the experiences of those who came before us.

Keywords: agriculture, the Umayyad era ,topography, irrigation , climate.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه اجمعين

أما بعد:

يعد النشاط الزراعي أهم الانشطة التي حولت الانسان من حياة الكهوف إلى حياة القرية ثم المدينة لما له من أهمية في توفير الغذاء والمواد الاولية للصناعة التي غيرت مجرى حياة الانسان، ولما كان لهذا النشاط تلك الاهمية فقد وجه المسلمون جهودهم للارتقاء بهذا النشاط إلى اعلى قمم الابداع والانتاج .

وقد بدأ الاهتمام بالنشاط الزراعي عند المسلمين منذ زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومرورا بالخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، ثم الدولة العربية الإسلامية في العصر الأموي ثم العصر العباسي، وقد تم اختيار عصر الدولة الأموية لتسليط الضوء على ما تم انجازه والجهود المبذولة للارتقاء بالنشاط الزراعي في هذه الحقبة الزمنية المهمة، ولكثرة الواردات التي جنتها الدولة العربية الإسلامية في تلك الفترة، ولمعرفة الكثير من الجوانب التي شملتها عناية الخلفاء وسيكون عنوان البحث (جهود الدولة العربية الإسلامية في الزراعة في العصر الأموي 41-132هـ/661-750م)، وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث وكما يأتي :

المبحث الاول: ملامح التضاريس والمناخ لأراضي الدولة .

المبحث الثاني: انجازات الخلفاء في مجال الزراعة (استصلاح الأراضي) .

المبحث الثالث: العناية بحفر الابار.

أهمية البحث :

تكمن اهمية البحث في تسليط الضوء على جهود الدولة الأموية في تطوير النشاط الزراعي وبمختلف الاساليب والطرق لرفد بيت المال بالموارد اللازمة للانفاق على الدولة وليكون نبراسا لنا للاهتمام بالزراعة التي تعاني اليوم الاهمال الكبير.

اهداف البحث:

1.التعرف على جهود الخلفاء والولاة والعمال في النهوض بالنشاط الزراعي .

2.بيان اهمية الثروة الزراعية في رفع واردات الدولة المالية وتوجيهها للنهوض بالواقع المعاشي للمجتمع .

3.معرفة الطرق التي تم من خلالها استصلاح الأراضي الزراعية وتحويل البطائح (الاهوار) إلى أراضي زراعية واسعة واحياء الأراضي الموات بكل اصنافها .

4.الاطلاع على كيفية توفير المياه للأراضي الزراعية عن طريق شق الانهر وحفر الابار وغيرها.

وقد تم الاعتماد على مصادر قيمة لاعداد هذا البحث ومن ابرزها كتاب الاموال لابن سلام، ابو عبيد القاسم (154-224هـ/770-839م)، وكذلك كتاب فتوح البلدان للبلاذري، احمد بن يحيى (ت 279هـ/892م)، وكتاب الرسل والملوك للطبري، ابو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م) وكتاب تاريخ الموصل للازدي، ابو زكريا (ت 334هـ/945م) حيث امدني بمعلومات قيمة وكثيرة عن النشاط الزراعي وكذلك كتاب صورة الارض لابن حوقل، محمد بن علي (367هـ/977م)، وغير ذلك من المصادر المهمة .

كما وتم الاستفادة من بعض المراجع الهامة التي اغنت البحث بمادة قيمة ومنها بحوث الندوة القومية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب للدكتور. رعد صالح التكريتي وبحثه المعنون: (التواصل التاريخي والجغرافي في العلوم الزراعية)، وحسن ابراهيم حسن، في كتابه تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني وغيرها، وقد تناولت دراسات سابقة كثيرة سواء كانت رسائل أو اطاريح أو بحوث هذا الموضوع بالبحث والتحليل ومنها بحث للأستاذ فرجاني مراد بعنون الاصلاحات الزراعية والمالية في عصر الدولة الأموية منشورات مجلة قبس، ودراسة للباحث جوعان راشد سعيد الظاهري بعنوان الحياة الاقتصادية في بلاد الشام في العصر الأموي، وارجو ان يكون بحثي هذا امتدادا لتلك الدراسات والله ولي التوفيق .

المبحث الاول

ملامح التضاريس والمناخ لأراضي الدولة

لقد ورثت الدولة العربي الإسلامية أراضي شاسعة كانت نتيجة للفتوحات العربية الإسلامية الواسعة في عهد الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم)، وهذا التوسع ادى إلى صعوبة دراسة الاحوال الزراعية للدولة الإسلامية وتعود تلك الصعوبات إلى امور عديدة تتمثل فيما يأتي:

أولاً: تنوع التضاريس في الارض،وتنوع المناخ، وتنوع مصادر المياه ادى إلى تنوع النظرة الادارية والمالية لمسؤولي الدولة العربية بدءا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومرورا بالخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) (إبراهيم، 1964: 204/2)، وأولي الامر بضمنهم الولاة والاداريون ازاء الأراضي التي فتحت واصبحت ضمن حدود الدولة العربية الإسلامية (التكريتي،1989: 137/1) .

ثانياَ: التنوع في اشكال الارض وتضاريسها حيث هناك في الجزيرة العربية مثلا سهول وجبال وصحاري ووديان، وفي العراق هناك الأراضي المجاورة للأنهار من جهة والبراري من الجهة الثانية، وهناك مناطق واسعة من الاهوار(البطائح)(قدامة، 1981: 168)، وفي الجزيرة الفراتية وبلاد الشام هناك جبال وسهول ساحلية مطلة على البحر، وفي مصر والمغرب العربي هناك الجبال والصحاري والسهول، وفي الاجزاء المطلة على الخليج العربي والبحر الاحمر هناك السهول الساحلية والجبال والصحاري وغير ذلك .

لقد ادى هذا التنوع في التضاريس الطبيعية إلى تنوع في المجالات الزراعية بين أراضي خصبة إلى أراضي جرداء إلى أراضي جبلية،وبين أراضي تتوفر فيها مياه الانهار إلى اخرى تعتمد على الامطار وثالثة تعتمد مياه العيون والابار (العبادي،1986:241).

ثالثاً: مع هذا التنوع في التضاريس تنوع في انماط المناخ بين حرارة متطرفة إلى برد شديد إلى اعتدال، ومن مناطق تنعم بأمطار غزيرة إلى اخرى تتوفر فيها كميات اقل وثالثة تتصف بعدم وفرة الامطار، وقد انعم الله عز وجل فأعطى بعض اجزاء هذا العالم انهار كثيرة ومهمة للري والزراعة والنقل على حد سواء، بينما عانى اهالي الصحاري في الجزيرة العربية والمغرب العربي من ندرة مياه الامطار، فأصبحت أراضيهم جرداء الا من بعض النباتات البرية، ولكن الله سبحانه وتعالى انعم على هذه المناطق الجرداء بمياه العيون والابار التي استثمرها العقل البشري العربي في العصور الإسلامية في مجال الزراعة (إبراهيم، 1964:299/2).

ورغم كل التنوع السابق الذكر في الارض والمناخ والاساليب الادارية، فقد نجحت الدولة الأموية في توجيه جهودها بالشكل الصحيح من اجل النهوض بالثروة الزراعية على الرغم من بعض السياسات التي تحسب على الدولة الأموية لانها اضرت بشكل أو اخر بواردات بيت مال الدولة من الأراضي الزراعية (الكبيسي، 1991: 197)، وتتمثل هذه السياسات التوسع في الاقطاعات التي وزعها الأمويون لأسباب عدة اهمها سياسية اذ وجدوا في ذلك اسلوبا مهما لتكثيف عدد المؤيدين والموالين لسياساتهم، ولكن لا يفوتنا ان هذه السياسة ادت إلى احياء الأراضي الموات في جوانب منها .

وهناك ادلة تاريخية التي تؤكد هذه السياسة في توزيع الاقطاعات منذ زمن الخليفة معاوية بن ابي سفيان 41-60هـ/661-680م فصاعدا فاعتمادا على اليعقوبي فقد قام معاوية بالسيطرة على أراضي الصوافي (وهي الأراضي التي ليس بها مالك أو وريث) فاستصفى أراضي كسرى وعائلته وأراضي الملوك والاباطرة في بلاد الشام وأراضي الكوفة والبصرة والجزيرة واليمن، كما انه ضم الصوافي في مكة والمدينة (اليعقوبي، د. ت: 207/2-222) .

ومما يجدر ذكره ان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قد اخذ الخراج من أراضي كسرى وكان مقداره سبعة ملايين درهم، كما ان الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ/6850- 705م) ضم عدة أراضي من البطائح (الأهوار) واقطعها لمالك بن مسمع وهو من سادة البصرة، ورغم كل ما تقدم فكانت جهود الأمويين كبيرة في مجال الزراعة كما سيرد ذكره ان شاء الله .

المبحث الثاني

انجازات الأمويين في مجال الزراعة

ادى توسع رقعة الأراضي التابعة للدولة العربية الإسلامية إلى ضرورة القيام بجهود كبيرة من اجل الاستفادة القصوى من هذه الأراضي لتكون رافدا مهما لبيت المال الذي يتولى الانفاق على مرافق الدولة بشتى انواعها .

وعلى الرغم من استحداث بعض المظاهر في العصر الأموي التي ادت إلى نتائج سلبية تتمثل في تحول الكثير من الأراضي الخراجية إلى أراضي عشرية، وكذلك تنامي الممتلكات الزراعية والأراضي الزراعية لبعض الافراد على حساب الملاكين الصغار رغم كل ذلك فقد كان للأمويين دورا بارزا في مجال الاعتناء بالزراعة، وفي تنمية الموارد القائمة على هذا النمط من الانتاج ولقد شجع الخلفاء الأمويون على توسيع رقعة الأراضي الزراعية المنتجة في اجزاء مختلفة من العالم الاسلامي، وكان لهذا التشجيع أوجه مختلفة.

استصلاح الأراضي:

كانت واردات الخلفاء الأمويين من الزراعة كبيرة جدا، اذ كانت في عهد الخليفة معاوية بن ابي سفيان تبلغ 1/ 880/000 مليون وثمانمئة وثمانون الف دينار(اليعقوبي، د. ت: 233/2)، كما كانت واردات بلاد الشام ايام الخليفة عبدالملك بن مروان نسبة عالية ايضا، فكان خراج دمشق 400/000 اربعمائة الف دينار، وخراج فلسطين 350/000 ثلاثمائة وخمسون الف دينار، والاردن 180/000 مئة وثمانون الف دينار(ابن حوقل، 1979م: 162) (البلاذري، 1959، ص163)، ولم تكن هذه الواردات لتتحقق لولا العناية الفائقة في الزراعة، ولم تكن عملية استصلاح الأراضي لاغراض الزراعية عملية مقصورة على الخلفاء الأمويين وحدهم انما كانت عملية واسعة تمتد جذورها إلى زمن الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم. (كان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) يحث على اعمار الارض الزراعية حيث قال:((من أحيا أرضاً مواتاً فهي له)) وقال: ((من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها)) (ابو يوسف، د. ت: 61-65،101)، وسار الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) على نفس المنهج، حيث ورد أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: ((من أحيا ارضا ميتة فهي له، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين)) اذ ان العادة كانت جارية بأن اشخاصا كانوا يحتجرون من الارض ما لا يعمرونه(ابو يوسف، د. ت: 65)، وجاء رجل إلى الخليفة علي بن ابي طالب (عليه السلام) وقال له: ((أتيت أرضاً قد خربت وعجز عنها أهلها فكريت أنهارا وزرعتها قال : كل هنيئا وانت مصلح غير مفسد، معمر غير مخرب)) (ابن سلام، 1353هـ: 85).

وقد اتسع نطاق احياء الأراضي واصلاحها للزراعة أيام الأمويين وصار الخلفاء هم المسؤولون عن منح الاذن للاشخاص الذين يرومون احياء الأراضي، ومقولة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-720م) اهمية كبيرة في هذا المجال، ويعد امتدادا واضحا لنظرية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) والخلفاء الراشدين في احياء الأراضي اذ قال : ((من غلب الماء على فيء فهو له)) (ابن سلام،1353هـ:284)، فمعالجة أي فرد في ازالة المياه عن ارض مغمورة بالمياه واصلاحها بعد ان كانت كذلك اما عن طريق النزح أو عن طريق التسهيل حتى ينضب عنها الماء فتكون بذلك المستصلحة لمن يحيها، فحكم هذه الارض حسبما رأى الخليفة عمر بن عبد العزيز ان تكون لمن فعل ذلك ونزح المياه عنها، ولقد كانت هناك عمليات استصلاح متعددة في الكثير من المناطق ارتقى بعضها إلى مصاف المشاريع الضخمة لا سيما مشروع اعادة استصلاح البطائح، في حين قد نفذت مشاريع اقل اهمية من ذلك، فتذكر الرواية ان الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) اقطع سعيد بن عبد الملك نهره الذي كان يأخذ مياهه من نهر الفرات وكان في الاصل مكان فيه السباع فلما اعطاها اياه فعمرها واستصلحها فصارت تعرف باسمه وصار النهر يعرف باسم (نهر سعيد) (ياقوت،1977: 321/5).

أما البطائح (الاهوار) فانها منطقة واسعة تقع بين واسط والكوفة شمالا والبصرة جنوبا تكونت أما في سنة ست أو سبع هجرية على أثر زيادة المياه في نهر الفرات زيادة عظيمة ادت إلى غرق هذه الأراضي بسبب اهمال كسرى الفرس ابرويز في سد البثوق والسيطرة على الفيضانات،وزيادة الفرات أدت إلى غرق البساتين واتسعت رقعة أراضي البطائح ايام الخلفاء الراشدين،وعندما تولى الأمويون الامر قام بعض خلفائهم وامرائهم باستصلاح مساحات واسعة من أراضيها.

وذكر ان الخليفة معاوية بن ابي سفيان ولى عبدالله بن دراج مولاه مسؤولية خراج العراق فاستصلح عبد الله للخليفة الأراضي من البطائح قدرت قيمة غلة هذه الأراضي المستصلحة بخمسة ملايين درهم . فقد قام اولا بقطع القصب الذي كان غالبا على البطائح ثم سيطر على المياه ببناء المسنيات(البلاذري،1959، ص290-291)، ولكن هذه العملية لم تكن واسعة ومحكمة حيث ان السدود والبثوق قد تفجرت مرة اخرى خلال خلافة عبد الملك بن مروان حينما كان الحجاج الثقفي واليا على العراق(البلاذري،1959، ص291)، في حين ان هناك رأيا أخر يقول ان هذا الوالي قد اهمل السيطرة على البثوق لأسباب سياسية –اقتصادية لجلب الضرر على الدهاقين لانه اتهمهم بموالاة حركة عبد الرحمن بن الاشعث (82هـ/701م)، ومع ذلك فان هناك من الروايات التاريخية ما يؤكد ان الحجاج الثقفي بعد ان صمم على اتخاذ مدينة واسط مدينة له ولجنده بدلا من البصرة والكوفة أنجز عدة مشاريع تهدف إلى احياء الأراضي في منطقة البطائح، فعندما نزل واسط حفر نهري النيل والزابي واحيا الأراضي الواقعة عليهما .

لقد استمر الحجاج في عملية استصلاح الأراضي ومتابعتها حيث ولى حسان النبطي هذه المهمة (وهو مولى لبني طيبة) والى حسان هذا ينسب الحوض المعروف بالبصرة (حوض حسان) كما تنسب اليه المنارة الموجودة في البطائح التي تسهل عملية الملاحة، وقد نجح في استخراج مساحات غير قليلة من أراضي البطائح للحجاج ايام خلافة الوليد وهشام (105- 125هـ/724-743م) ابني عبد الملك بن مروان .

وتضيف الينا الروايات انه كان في البطائح قبل حدوث الفيضانات نهر يقال له (نهر الجنب) فلما تبطحت البطائح (أي عندما ظهرت البطائح وطغت المياه على الأراضي) تحول ذلك النهر إلى اجام وسمي اجام البريد، والاجمة منطقة غير صالحة للزراعة تكسوها غابة من القصب والشجر،لذلك عندما قام الأمويون بمشروع استصلاح أراضي البطائح تحولت هذه الاجام إلى أراضي صالحة للزراعة وظهرت فيها (الجامدة) وهي قرية كبيرة جامعة من اعمال مدينة واسط بينها وبين البصرة مسافة(البلاذري، 1959، ص288) (ياقوت،1977:95/2) .

وهناك رواية اخرى تفيد بان السدود عندما انكسرت ايام ولاية الحجاج كتب بأمرها إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك واخبره أن تكاليف سد هذه البثوق تبلغ ثلاثة الاف الف درهم (ما يعادل ثلاثة ملايين درهم) فاستكثرها الوليد لكن مسلمة بن عبد الملك وعد أن ينفق على سد هذه البثوق في البطائح شريطة ان يقطعه الخليفة الأراضي المنخفضة التي فيها الماء بعد ان ينفق عليها المبلغ المذكور على ان يتولى الحجاج عملية الانفاق، فوافق الخليفة الوليد وبذلك تم لمسلمة استصلاح أراضي واسعة كما عمل حفر نهر (السيبين) .

ان هذه الاعمال المهمة في استصلاح الأراضي قد شجعت دون شك الاهالي على القيام بواجباتهم في هذا الاتجاه اذ اتسعت رقعت الأراضي المستصلحة مما حدى ببعضهم إلى الجاء ملك الأراضي المستصلحة ضياعا كثيرة للتعزز بمسلمة فازدادت لهذا السبب مساحة الأراضي الصالحة للزراعة(البلاذري، 1959، ص292) في البطائح، وورد أن معاوية بن ابي سفيان قد اشترى ارضا في وادي القرى من اليهود وحولها إلى ارض منتجة(البلاذري، 1959، ص248).

المبحث الثالث

العناية بحفر الابار

لم يكن خافيا على الخلفاء الأمويين اهمية مشاريع الري في عملية استصلاح الأراضي وتنمية الثروة الزراعية فكان لهم دورا كبيرا في ذلك .

ففي غوطة دمشق حفر يزيد بن معاوية (60-64هـ/680-683م) قناة عرفت باسم نهر يزيد محاولة منه في اصلاح عملية الري في هذه المنطقة الزراعية المشهورة من بلاد الشام، وكانت الأراضي التي يجري فيها هذا النهر قد هجرت ولم يبقى لها وارث ايام معاوية فأخذها هذا الخليفة، ولما تولى الامر يزيد وجد ان هذه الأراضي الواسعة تنقصها المياه فحفر عندئذ النهر بسعة ستة اشبار (ابن عساكر، 1332 هـ: 244/1-245).

وعندما قلت مياه نهر بردى في بلاد الشام إلى درجة كبيرة واشتكى الناس من ذلك أمر الخليفة سليمان بن عبد الملك (96-99هـ/715-717م) بكري ماء العين ولكن المشكلة ظلت قائمة فأمر هشام القاسم بن زياد ان (يحيز لهم الاناهر فحازها) (ابن عساكر، 1332 هـ: 1/245-246) .

أما الخليفة عبد الملك بن مروان فقد ولى ابنه سعيد ولاية الموصل، ويرجع له الفضل في حفر نهر سعيد في الموصل، وقيل أن موضع هذا النهر كان عبارة عن غيضة تسكنها السباع فلما أقطع الوليد بن عبد الملك هذه الغيضة له قام بحفر النهر فادى إلى اعمار الأراضي فيها (البلاذري، 1959،ص238).

وعندما توجه مسلمة بن عبدالملك غازيا ضد الروم عسكر بمدينة يالس فشكى اهلها واهالي قرى بوبلس وعابدين وقاصرين وصفين وهي قرى محيطة بمدينة يالس من شحة المياه امر مسلمة بحفر نهر متفرع من الفرات لري تلك الأراضي فدر هذا المشروع على الاهالي الخير الوفير باحياء أراضي تلك القرى فجعلوا لمسلمة ثلث غلاتهم .

وفي عهد الوليد بن عبد الملك عندما ولي سليمان جند فلسطين أحدث هذا الوالي مدينة الرملة ومصرها وبنى فيها قصره ودار الصباغين وحفر للاهالي قناة تعرف بنهر بردة كما حفر لهم ابارا وقد استثمرت مياه هذه المشاريع لري الأراضي(البلاذري، 1959، ص148).

أما الخليفة عمر بن عبد العزيز فكان مهتما بشكل واضح بتحسين وسائل ري الأراضي، وكان دؤوبا على تشجيع الولاة على شق الانهر والترع وعلى تحسين اوضاع الفلاحين وعلى الغاء الضرائب التي كانت تعيق تنمية وتطوير الأراضي الزراعية، ومن بين هؤلاء الولاة عدي بن ارطأة والي البصرة اذ كتب إلى الخليفة بشأن حفر نهر لأهالي البصرة فأذن له فحفر نهرين وقد خرج اهالي البصرة إلى ذلك الموضع الذي تمت فيه عملية الحفر ليراقبوا العملية (البلاذري،1959، ص363).

كما عرف الخليفة هشام بن عبد الملك باهتمامه الواسع في تملك الأراضي وتنظيم وسائل الري فيها فحفر نهري الهني والمري بالقرب من الرقة والرافقة وقد ساعدت هذه المشاريع على تنمية الأراضي الواقعة على هذين النهرين لتصبح ضياعا، وكان يأخذان مياههما من نهر الفرات ويسقيان البساتين (البلاذري،1959،ص184) (ياقوت،1977:5/419).

ونظرا لكثرة الأراضي العائدة إلى هشام فقد عين وكيلا له ينظر في انتاجاتها وما تحتاجه، ولم يقتصر امر العناية في الأراضي الزراعية والاهتمام بتطوير مشاريع سقي الأراضي وحفر القنوات والانهار على خلفاء بني امية فقط انما تعدى ذلك إلى الولاة والعمال وقد حظيت أراضي العراق في البصرة والكوفة وواسط والبطائح بعناية كبيرة، فالى زياد بن ابي سفيان الذي كان والياً على الديوان ايام ولاية عبدالله بن عامر، يرجع له الفضل في حفر نهر الابلة، كذلك يرجع الفضل في حفر نهر معقل المشهور في البصرة إلى معقل بن يسار خلال ولاية زياد على البصرة اثناء خلافة معاوية كما حفر مولى لزياد نهرا اسمه نهر دبيس (البلاذري، 1959، ص184).

كما وينسب نهر بشار في البصرة إلى بشار بن مسلم الباهلي أخ قتيبة بن مسلم، وكان بشار قد اهدى الحجاج الثقفي فرسا فسبق عليه فأقطعه سبعمائة جريب من الارض(أو اربعمائة جريب) ولاجل استثمار هذه الارض حفر بشار نهر حمل اسمه(البلاذري، 1959، ص352-353).

وهنالك انهار اخرى حفرت اثناء ولاية زياد منها نهر ذراع ونهر حبيب ونهر ابي بكرة ونهر مكحول ونهر البراء، وشمل زياد اهل بيته في تملك الأراضي وتطوير احوالها الزراعية، فيذكر ان نهر البنات في البصرة ينسب إلى بنات زياد اذ اقطع كل ابنة ستين جريبا من الارض وحفر لهن هذا النهر ليسقي تلك الأراضي(البلاذري،1959، ص356-357).

وينسب نهر المرغاب إلى بشير بن عبيد بن ابي بكرة وكان يجري في قطيعة اقطعها يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) إلى مرغاب هذا وبلغت مساحتها ثمانية الاف جريب(البلاذري، 1959،ص358)، وينسب نهر زيد إلى يزيد بن المهلب الذي حفره لارواء قطيعته، كما حفر عمر بن هبيرة نهر ملهليان لارواء قطيعة اقطعها له يزيد بن عبد الملك (البلاذري، 1959، ص359)، وحفر الحجاج الثقفي نهر العين في منطقة واسط، كذلك حفر نهر النيل والزابي فأصبحت هذه الانهار عصب الحياة للأراضي الواقعة على جانبيها، وحفر والي الموصل الحر بن يوسف نهر المكشوف بغية توفير مياه الري للأراضي هناك وقد بدأ العمل بحفره سنة 107هـ وانفق في حفره ثمانية ملايين درهم(الازدي،1967:56).

وقد برز اهتمام الخلفاء الأمويين في جوانب عدة أخرى منها الاهتمام بشؤون الفلاحين ومتطلباتهم واعتنوا بأحوالهم، فيذكر ان الحجاج الثقفي كان دائما يتعقب احوال الفلاحين واحوال الزراعة فقد كان يكتب إلى الخليفة عبد الملك كتابا عن احوال الامطار والزراعة (ياقوت، 1977: 153/2، 419/5)، والتفت إلى الفلاحين فأقرضهم قروضا وصلت قيمتها إلى مليون درهم تشجيعا لهم للعمل بنشاط اكبر من اجل تحسين الزراعة وتطويرها.

كما ان موقف الخليفة الورع عمر بن عبد العزيز بالنسبة إلى وضع الارض التي تم احياؤها واضح ودال على مدى اهتمامه بالشؤون الزراعية، اذ كان يتابع امور الارض واحوالها من خلال ما يذكره في كتبه التي اعتاد على توجيهها إلى عماله في مختلف أرجاء الدولة، فقد ورد أن الراوي حكم بن رزين (أو رزق بن الحكم) قد قرأ في كتاب للخليفة موجه إلى ابيه يقول فيه((ان من احيا ارضا ميتة ببنيان أو حرث ما لم يكن من احوال قوم ابتاعوها من احوالهم، أو احيوا بعضا وتركوا بعضا فاجر القوم احياءهم الذي احيوا ببنيان أو حرث)) (ابن سلام، 1353هـ:291).

ويذكر ان عامل الخليفة عمر بن عبد العزيز عدي بن ارطأ كتب اليه كتابا جاء فيه ((اما بعد فان اناسا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخراج حتى يمسهم شئ من العذاب)) فرد عليه الخليفة العادل جوابا أكد فيه على سياسته العادلة وعدم الحاق الحيف والاذى والظلم بالفلاحين اذ قال فيه : ((اما بعد فالعجب كل العجب من استئذانك اياي في عذاب البشر كأني جنة لك من عذاب الله وكأن رضاي ينجيك من سخط الله، اذا اتاك كتابي هذا فمن اعطاك ما قبله عفوا والا فاحلفه، فوالله لان يلقوا الله بجناياتهم احب الي من ان القاه بعذابهم والسلام)) (ابو يوسف، د. ت:119).

وفي كتاب اخر وجهه إلى عامله على الكوفة قال فيه:((لا تحمل خرابا على عامر، ولا عامر على خراب، انظر الخراب فخذ فيه ما اطاق واصلحه حتى يعمر ولا يؤخذ من العامر الا وظيفة الخراج في رفق وتسكين لاهل الارض)) (الطبري،1903:135/8).

وقد اسقط الخليفة عمر بن عبد العزيز عدة ضرائب كانت مفروضة على الفلاحين كالخراج عدا وزن سبعة واجور البيوت وغيرها .

الخلاصة:

متلما ابدع العرب المسلمون في شتى اصناف العلوم والمعارف، كان ابداعهم متواصلا ليشمل الجانب الزراعي الذي كان وما يزال يمثل موردا هاما للدولة ومحركا لكافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

ويعد العصر الأموي من عصور الدولة العربية الإسلامية الذي كان فيه الاهتمام واضحا وجليا في الزراعة حيث كان الاهتمام منصبا على استصلاح الأراضي وتحويلها من أراضي عديمة الفائدة إلى أراضي منتجة ومن اهوار ومستنقعات إلى أراضي خصبة درت على بيت المال المثير من الواردات، كما صاحب هذه الجهود الاهتمام بعمليات الري وشق الانهر وتوفير المياه لكافة الأراضي الزراعية، فأثمرت تلك الجهود عن ثروة زراعية طائلة كانت مصدرا اساسيا للمجتمع العربي الاسلامي، وكانت للادارة الإسلامية المتميزة دورها الفاعل في توجيه هذا النشاط ، فكانت الجهود من الخلفاء والولاة حثيثة للنهوض بالجانب الزراعي وقد أثمرت تلك الجهود، وقد خرج البحث بجملة نتائج .

النتائج :

a. يمثل النشاط الزراعي رافدا مهما لاقتصاد اي دولة اذا ما استثمر بالشكل الصحيح .

b. يجب أخذ الأراضي المهملة من اصحابها واسنادها إلى من يقوم باستصلاحها لان الارض لمن يعمرها لتكون رافدا للفرد والمجتمع

c. على الرغم من صعوبة استصلاح أراضي الاهوار والمستنقعات لكن الدولة لم تهملها واعطتها لمن يستطيع زراعتها والعمل فيها حتى وان تحولت إلى املاك خاصة.

d. بذل اقصى الجهود من اجل ايصال المياه إلى الأراضي واحيائها والاستفادة منها كثروة مهمة للبلد ويجب ان يكون ذلك درسا لنا في هذا العصر الذي يعاني البلد فيه ازمة مياه تكاد تقضي على مستقبل الزراعة والثروة الحيوانية في البلد.

توصية:

على الباحثين التوسع في كتابة البحوث والدراسات الخاصة بالنهوض بالنشاط الزراعي ولا سيما البحوث التطبيقية لكي ننهض باقتصاد بلدنا الذي يعاني من ازمة اقتصادية كبيرة وهو الذي اطلق عليه تاريخيا بارض السواد .

المصادر:

ابن حوقل،محمد بن علي بن حوقل النصيبي (ت 367هـ/ 977م)، (1979): صورة الارض،دار مكتبة الحياة ،بيروت.

ابن سلام،ابو عبيد القاسم (154-224هـ/770-858م)،(1353هـ):الاموال، صححه وعلق على هوامشه: محمد حامد الفقي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.

ابن عساكر،ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت571هـ/1175م)، (1329هـ): تهذيب تاريخ ابن عساكر ،مطبعة روضة الشام، دمشق.

ابو يوسف، يعقوب بن ابراهيم (113-182هـ/732-798م)، (1382هـ): الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة.

الازدي، ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت334هـ/ 945م)، (1967): تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، القاهرة.

البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر (ت 279هـ/892م)، (1959م): فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، الطبعة الاولى، مطبعة السعادة ،القاهرة.

التكريتي،د.رعد صالح، (1989): التواصل التاريخي والجغرافي في العلوم الزراعية، بحوث الندوة القومية الاولى لتاريخ العلوم عند العرب، مطبعة الارشاد بغداد.

حسن، حسن ابراهيم،(1964): تاريخ الاسلام السياسي والثقافي والديني، القاهرة.

الطبري، ابو جعفر محمد بن جرير(ت310هـ/ 922م)،(1903):تاريخ الرسل والملوك، ليدن، نشر دي غويه.

العبادي، احمد مختار، (1986): الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية، الكويت.

قدامه، ابن جعفر الكاتب،(ت327هـ/ 938م)، (1981): الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق: محمد حسين الزبيدي، دار الحرية بغداد.

الكبيسي، حمدان عبد المجيد،(1991): الخراج، احكامه ومقاديره،دار الحكمة بغداد.

ياقوت، ابو عبد الله شهاب الدين الحموي (626هـ/1226م)، (1977):معجم البلدان،دار صادر، بيروت.

اليعقوبي، احمد بن ابي يعقوب بن واضح (ت284هـ /897م)، (دون تاريخ):تاريخ اليعقوبي،دار صادر،بيروت .

The References:

Abu Yusuf, Yaqoub bin Ibrahim (113-182 AH / 732-798 AD), (1382 AH): Al-Kharaj, Salafi Press, Cairo.

Al-Abadi, Ahmed Mukhtar, (1986): Economic Life in the Islamic State, Al-Kuwait.

Al-Azdi, Abu Zakaria Yazid bin Muhammad bin Ayas bin Al-Qasim (334 AH / 945 AD), (1967): History of Mosul, edited by: Ali Habiba, Cairo.

Al-Baladhuri, Ahmed bin Yahya bin Jaber (279 AH/892 AD), (1959AD): Conquests of Countries, edited by: Radwan Muhammad Radwan, first edition, , Al-Saada Press, Cairo.

Al-Kubaisi, Hamdan Abdel Majeed, (1991): Al-Kharaj, its rulings and amounts, Dar Al-Hekma, Baghdad.

Al-Tabari, Abu Jaafar Muhammad bin Jarir (310 AH / 922 AD), (1903): History of the Messengers and Kings, Leiden, published by De Goy.

Al-Takriti, Dr. Raad Saleh, (1989): Historical and geographical communication in agricultural sciences, research papers of the first national symposium on the history of science among the Arabs, Al-Irshad Press, Baghdad.

Al-Yaqoubi, Ahmad bin Abi Yaqoub bin Wadh (284 AH / 897 AD), (undated): History of Al-Yaqoubi, Dar Sader, Beirut.

Hassan, Hassan Ibrahim, (1964): The History of Political, Cultural, and Religious Islam, Cairo.

Ibn Asakir, Abu Al-Qasim Ali bin Al-Hasan bin Hibatullah (571 AH/ 1175 AD), (1329 AH): Tahdheeb Tarikh Ibn Asakir, Rawdat Al-Sham Press, Damascus.

Ibn Hawqal, Muhammad bin Ali bin Hawqal Al-Nusaybi (367 AH / 977 AD), (1979): Image of the Earth, , Al-Hayat Library House, Beirut.

Ibn Salam, Abu Ubaid Al-Qasim (154-224 AH / 770-858 AD), (1353AH): Funds, corrected and commented in its margins: Muhammad Hamid Al-Faqi, Great Commercial Library, Cairo.

Qadamah, Ibn Jaafar Al-Katib, (327 AH/938 AD), (1981): Abscess and the writing industry, explanation and commentary: Muhammad Hussein Al-Zubaidi, Dar Al-Hurriyah, Baghdad.

Yaqut, Abu Abdullah Shihab Al-Din Al-Hamwi (626 AH/1226 AD), (1977): Dictionary of Countries, , Dar Sader, Beirut.